معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس

(شرح السنة للبربهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (15)

التاريخ: الأحد 30/المحرّم/1441 هـ

29/أيلول/2019 م

الدرس الخامس عشر من شرح السنة للبربهاري

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله أمَّا بعد:

قالَ المؤلف - رحمهُ الله - (**[72] والإيمانُ بأنَّ اللهَ هُوَ الذي كَلَّمَ موسى بنَ عِمرْانَ عليه الصلاة والسلام يَوْمَ الطُّورِ؛ وموسى يسمعُ من الله الكلامَ بصَوته، وقع في مسامعهِ منه، لا من غيرِه، فمن قالَ غيرهذا؛ فقد كَفَرَبالله العظيم**).

يؤمنُ أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّ الله سبحانهُ وتعالى يتكلَّم كلاماً حقيقياً،

ومعنى الكلام الحقيقيّ أنَّه بحرفٍ وصوت، يتكلَّمَ بحرفٍ وصوت فيسمعهُ من أرادَ الله سبحانه وتعالى له أن يسمعه؛ هذه عقيدةُ أهل السنة والجماعة،

ومِمَّن كلمه الله سبحانه وتعالى وسمع كلامه: موسى بن عمران، الذي قالَ اللهُ سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[1]، هذا ما يشيرُ إليه المؤلف من قوله:

(**يوم الطُّور**)؛ فكلَّم الله سبحانه وتعالى موسى وسَمِعَ موسى كلام ربِّهِ تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2]، وقالَ أيضاً: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[3]،

إذن فقد كلَّمَ الله سبحانه وتعالى موسى كلاماً حقيقياً، وموسى سمع كلام الله تبارك وتعالى الذي تكلَّم به بحرف وصوت؛ على هذا عقيدة أهل السنة والجماعة وقد قدَّمنا القولَ في مسألة الكلام، وفي هذا ردٌّ على أهل البدع الذين ينفون صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى، ويقولون الله سبحانه وتعالى لا يتكلم؛ لأنه إذا قلنا بأنه يتكلم يلزم من ذلك التشبيه بالمخلوقين.

هذا كلام باطل مردود؛ ولا يلزم؛ فكلام الله كلام يليق بجلاله وعظمته، وكلام المخلوق يليق به وقدمنا القول مُفَصَّلًا فيما تقدَّم من دروس.

قال: (**وقعَ في مَسامعهِ مِنهُ**) أي من الله سبحانه وتعالى، وقع في مسامع موسى كلام الله سبحانه وتعالى.

---

1 - [مريم:52]

2 -[النساء:164]

3 - [الأعراف:143]

وهو كلامٌ من الله لا من الشجرة، ولا من جبريل، ولا من محمّد ﷺ، ولا شيء من هذه الأقوال الباطلة التي يُدندن بها أهل الباطل، القرآن هذا كلام الله؛ تكلم به، وجبريل ومحمد ﷺ مُبلّغان؛ بلَّغا كلام الله تباركَ وتعالى، والكلام يُضاف إلى قائله؛ فلا يصح أن نقول بأن القائل: ﴿ أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾[1] أنَّه محمد أو جبريل أو الشجرة ؛ هذا كلام لا يصدر إلا من رب العالمين تبارك وتعالى، فالكلام كلامه تبارك وتعالى لا من غيره، فمن قالَ غير هذا الذي هو مُقَرَّر عند أهل السُّنَّة ودلَّت عليه أدلة الكتاب والسنة؛ فقد كفر بالله العظيم، هذا القول كفر؛ القول بأن الله لا يتكلَّم، أو أن القرآن مخلوق ليس بكلام الله سبحانه وتعالى: كفر لا خلافَ في ذلك؛ لكن تنزيل الحكم على المُعيَّن هذا يحتاج إلى تحقّق الشروط وانتفاء الموانع؛ لكن هذا القول كفر ورِدَّة عن الإسلام؛ لأنه تكذيب لكتاب الله ولسنة الرسول ﷺ ولِما أجمعَ عليه سلف الأمة رضي الله عنهم.

قال المؤلف- رحمه الله -: ([73] واعْلَمْ أنَّ الشَّرَّ والخَيْرَ بِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ)

كلُّ ما يقعَ في هذا الكون من خيرٍ وشرٍ بتقدير الله سبحانه وتعالى، قد قدَّر الله مقادير كل شيء حتَّى تقومَ السَّاعة؛ من ذلك الخير والشر، الإيمان والكفر، الصحة والمرض والجوع والعطش والشبع والرّي؛ كل ذلك، حتى الحياة والموت؛ كل ذلك مُقَدَّر عند الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2]، وقال النَّبي ﷺ: "كلُّ شيء بقدر حتى العَجْز والكَيْس"[3]

وقد تقدَّم القول في مسألة القدر.

قال المؤلف - رحمه الله -: ([74] والعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسانٍ مِنَ العَقْلِ ما أَرادَ اللهُ عَزَّ وجل، يَتفاوَتونَ في العُقولِ مِثْلَ الذَرَّةِ في السّماواتِ، ويُطْلَبُ مِنْ كُلِّ إِنْسانٍ مِنَ العَمَلِ على قَدْرِ ما أَعْطاهُ مِنَ العَقْلِ، ولَيْسَ العَقْلُ باكْتِسابٍ؛ إِنَّما هو فَضْلٌ مِنَ اللهِ عزوجل).

قوله: (العقل مولودٌ) يعني مخلوق.

---

1 - {طه:14}

2 - [القمر:49]

3 - أخرجه مسلم (2655) عن ابن عمر رضي الله عنه.

العقل آلة الإدراك، ويُطلق أحياناً على الفَهم، والمُراد هنا: آلة الإدراك، وهو مخلوق، وهو جزء من الإنسان، والإنسان مخلوق كله.

قال: (أُعطيَ كل إنسان من العقل ما أراد الله عزوجل)

أَعطى الله سبحانه وتعالى كل إنسان قدراً من العقل، فالناس يتفاوتون فيه؛ لذلك قال يتفاوتون في العقول، لاحظ قول النبي ﷺ في النساء: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"[1]، فنُقصان العقل هذا يدل على أن الناس تتفاوت في العقول.

قال: (مثل الذَّرة في السّماوات)

يعني يتفاوتون تفاوتاً عظيماً.

قال: (ويُطلب من كل إنسان من العمل على قَدْر ما أعطاه من العقل)

فالعقل هو مناط التكليف، هو الذي يتعلَّق به التكليف، فعلى قدر ما عندك من العقل؛ تُكَلَّف، فالمجنون مثلاً لا عقل له؛ فلا يكلف البتَّة، الصغير المولود حديثاً لا يُكَلَّف البتَّة؛ لأن مناط التكليف غير موجود، المُمَيِّز الذي حصل عنده التمييزَ وكَبُر في سنه شيئاً قليلاً وصار يحسن يتوضأ ويصلي؛ تُقبل منه أعماله؛ لكن من ناحية التكليف لا يُكَلَّف حتى يصل إلى سن البلوغ، سن البلوغ هذا يكون عقله قد وصلَ لدرجة يستطيع معها إدراك الأحكام الشرعيَّة وما يترَّتب على الأحكام الشرعيَّة؛ لذلك يُكَلَّف في هذا السّن وهو سن البلوغ؛ فالعقل ينمو؛ يزيد، ويزيد إدراك الانسان حتى يصل إلى ما أراد الله سبحانه وتعالى أن يعطي العبد منه؛ ثم يتوقف.

والناس يتفاوتون ما بين ذكي وبليد؛ ويوجد ذكي وأذكى، وهكذا؛ يعني قدرتهم على التفكير؛ العقول التي آتاهم الله سبحانه وتعالى تتفاوت؛ فالله سبحانه وتعالى لا يكلف إنساناً لم يعطه قوة في الإدراك وآلة كاملة في العقل؛ لا يكلفه مثلاً أن يكونَ عالماً بالشريعة، وأن يتعلَّم جميع أحكام الشريعة التي لا يدركها عقله بالكامل؛ يكفيه أن يأخذ من الشريعة ما أوجب الله عليه، فما أوجبَ الله على العباد؛ يدركه جميع الناس حتى الذين عندهم عقول ليست بذات الدرجة

1 - أخرجه البخاري (304) عن أبي سعيد الخدري، وأصله عند مسلم (889).

العالية من الذكاء؛ يستطيعون أن يدركوا ويفهموا القدر الذي أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم تعلّمه.

قال: (ويُطلَب من كل إنسان من العمل على قدرِ ما أعطاهُ من العقل، وليس العقل باكتسابٍ؛ إنَّما هو فضل من الله عزوجل)

يعني لا يتمكن الشخص إذا نوى أن يكون عنده عقل زائد، أن يسعى حتى يكون عندهُ عقل زائد؛ هذا لا يحصل؛ لأن العقل لا يُدرك بالاكتساب، لا يكون منك بعمل؛ لا يحصل عندك بعمل؛ وإنما هو فضل من الله يَمُّنُ به على من يشاء من خلقه، ويعطي كلاً على حسب حكمته تبارك وتعالى.

هذا معنى أن العقل ليس باكتسابٍ وإنما هو فضل من الله تبارك وتعالى يتفضَّلُ بهِ على من يشاء من خلقه.

قال المؤلف - رحمهُ الله -: ([75] واعْلَمْ أَنَّ الله فَضَّلَ العِبادَ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ في الُّدنيا والآخِرَةِ؛ عَدْلاً مِنْهُ، لا يُقالُ: جارَولا حابى، فَمَنْ قالَ: إِنَّ فَضْلَ اللهِ على المُؤْمِنِ والكافِرِ سواءٌ؛ فهوَ صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ بَلْ فَضَّلَ اللهُ المؤْمِنَ على الكافِرِ، والطَّائِعَ على العاصي، والمَعْصومَ على المَخْذولِ؛ عَدْلاً منه؛ هُوَ فَضْلُهُ يُعْطيه مَنْ يَشاءُ، ويَمْنَعُهُ مَنْ يَشاءُ).

هذه المسألة مُتعلقة بمسائل القدر.

يقول المؤلف: (واعْلَم أن الله فضَّلَ العباد بعضهم على بعض في الدنيا والآخرة)؛

فالمؤمن أفضل من الكافر، والمؤمنون يتفاوتون؛ بل إنَّ الأنبياء يتفاضلون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]،

والنَّاس أيضاً يتفاضلون، قال النبي ﷺ: "خيرَ النَّاس قرني، ثمَّ الذين يَلونَهُم ثمَّ الّذين يَلونَهُم"[2]، وأفضل هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ثمَّ عمر ثم عثمان؛ تفاضلهم هذا تفاضل دنيوي وتفاضل أخروي؛ فالنَّاس عند الله يتفاضلون.

---

1 - [البقرة:253]

(2) أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: (عدلاً منه)،

هذا التفاضل الذي جعله الله سبحانه وتعالى بين العباد، وجعلَ فلاناً أفضل من فلان؛ إنما هو بعدله تبارك وتعالى هذا بعدله، ليس فيه ظلمٌ لأحد؛ بل هو عدل من الله؛ فاللهُ لا يمنع حقاً لِأحدٍ؛ فيُعطي الله سبحانه وتعالى مِن فضله مَن شاء من عباده، وبما أنَّ ما يعطيهِ فضلاً وتكرماً منه، فإذا أعطى شخصاً ومنع آخر؛ لا يكون في ذلك شيء من الظلم والجَور، أعطى أبا بكر من الفضل ما لم يعطِ زيداً من الناس؛ هل يُقال ظلم زيداً؟! لا؛ لأن الفضل الذي منَّ به على أبي بكر هو فضله وكرم منه ليس مِلكاً لا لزيد ولا لأبي بكر، فلمَّا تفضَّلَ به على أبي بكر؛ ليس لزيدٍ أن يقول منعتني حقي؛ لأن هذا فضله يعطيه من يشاء من عباده، ولا يكون ظالماً لأحدٍ بذلك؛ فهو يتصرَّفُ في ملكهِ ويعطي من فضله؛ فليس لأحد عنده حق يطالب به.

أما المُعتزلة فيقولون: يجب على الله أن يَعدِل بين الناس، وأن يُعطيهم سواء، وأن يجعل هذا مثل هذا، فإذا أغنى هذا؛ أغنى هذا، وإذا أعطى هذا ما يجب من الإيمان؛ يجب عليه أن يعطي هذا من الإيمان؛ هذا باطل، هذا ملك لله سبحانه وتعالى يتفضَّل على من يشاء ويمنع من يشاء، ولا أحد يوجب على الله سبحانه وتعالى شيئاً؛ إلا ما أوجبَ هو على نفسه؛ ليس لأحد أن يوجب عليه شيئا من ملكه وفي ملكه، ليس لأحدٍ أن يتدخل في هذه الأمور؛ فهو تبارك وتعالى يعطي ويمنع لحكمة؛ فمن ناحية الجزاء يُجازي بعدل؛ وأما العطاء؛ فهذا فضل منه يمُنّ به على من يشاءُ من خلقه.

قال: (لا يُقال جارَ ولا حابى)

جارَ يعني ظَلَم، لا يُقال ظَلَم ولا حابى؛ يعني: اختص البعض دون البعض بما هو حق للآخر؛ لا يُقال هذا؛ فهذا لا يصدر من الله سبحانه وتعالى، لا يحصل ظلم منه.

قال: (فمن قالَ إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء؛ فهو صاحب بدعة)،

وهذا القول قول المعتزلة، الذين يقولون:

الله سبحانه وتعالى ليس هو الذي يهدي، ولا هو الذي يُضِل؛ ما أعطاه للمؤمن وما أعطاه للكافر واحد؛ سواء، وليس له تصرف في أفعال العباد، والعبد هو يخلق فعله بنفسه، ففَضْلهُ على الكافر كفضلهِ على المؤمن؛ لم يعطِ للمؤمن من الإيمان أكثر من الكافر، ولم يتفضَّل به

على المؤمن أكثر من الكافر؛ هذا ما يقوله المعتزلة وهو باطل وكَذِب على الله تبارك وتعالى؛ والله سبحانه وتعالى هو الذي يَمنُّ على عبادهِ بالهداية، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1]، وقال :﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[2]؛ يعني لو أرادَ أن يجعلكم جميعاً مسلمين على دينٍ واحد؛ لجعلكم؛ ولكنه يهدي من يشاء إلى دين الحق؛ ويضلُّ من يشاء بحكمته تبارك وتعالى.

قال: (**بل فضَّلَ الله المؤمن على الكافر**)، يعني الله سبحانه وتعالى بفضله أعطى المؤمن الإيمان؛ فتفضَّلَ على المؤمن وفضَّلَهُ على الكافر. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3]، إذن فضَّل اللهُ سبحانه وتعالى أهل الإسلام على أهل الكفر.

قال: (**والطَّائع على العاصي**) فضلٌ مِنه تبارك وتعالى أن جعل الطائع المُستجيب لأمر الله تبارك وتعالى والمنتهي عن نهيه؛ جعله أفضل من العاصي.

قال: (**والمعصوم على المخذول**) يعني فضل الذي عصمهُ عن المعصية عن الذي خذله ولم يعصمه عنها.

قال: (**عدْلاً منهُ**) كلُّ هذا يفعله عدلاً منه تبارك وتعالى؛ فلا يظلم أحداً.

قال: (**هو فضلهُ يعطيه من يشاء ويمنعهُ من يشاء**) هذه الخلاصة: فضل الله سبحانه وتعالى يعطيه من يشاء من خلقه ويمنعه من يشاء.

قالَ - رحمهُ الله -: (**[75] ولا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَداً مِنَ المُسْلمينَ؛ بَرَّهُمْ وفاجِرَهُمْ في أَمْرٍ مِنْ أُمورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ؛ فَقَدْ غَشَّ المُسْلمينَ، ومَنْ غَشَّ المُسْلمينَ؛ فقدْ غَشَّ الدِّينَ، ومن غشَّ الدين؛ فقد خانَ اللهَ ورسولهَ والمؤمنين**)

---

1 - [الأنعام:125]

2 [النحل:93]

3 - [القلم:35]

النَّصيحة مأخوذة من النُّصح؛ قالوا: أصله تخليصُ العسل من الشمع وما يشوبه؛ فتخليص الشيء مِمَّا يعكِّر صفوه؛ هذا معنى النُّصح، فالنصيحة المقصودة هنا هي: أن تكون صادقاً في بيانك للحق وإظهاره، وفي أداء ما أوجب الله عليك ناحية الدَّين وتجاه ربّ العالمين، وتجاه نبيه ﷺ، وتجاه المسلمين، قال ﷺ: "الدِّينُ النَّصيحة الدِّينُ النَّصيحة الدِّينُ النَّصيحة"[1]؛ فجمعَ الدّين كلّه في النَّصيحة؛ كما قال: "الحجُّ عرفة"؛ فالركن الأساسي والأصلي لهذا الدين هو النصيحة، (قُلنا لمن يا رسول الله؟ قال : "لله") كيف تكون النَّصيحة لله؟

أن تؤمن بحقوق الله سبحانه وتعالى، وأن تؤديها كما أُمرت؛ تكون ناصحاً لله سبحانه وتعالى.

أن تؤمن بروبيته؛ أنه الخالق الرازق المُدبر، أن تؤمن بألوهيته؛ أنه المعبود بحق وأن غيره لا يستحق العبادة، أن تؤمن بأسمائه وصفاته؛ تثبت ما أثبت لنفسه وتنفي ما نفى عن نفسه، وتسكت ما سكت عنه؛ بهذا تكون ناصحاً لله سبحانه وتعالى.

أن تطيعهُ فيما أمركَ به، وتنتهي عما نهاك عنه، وتؤمن بشرعه ودينه؛ هذا كله من النصيحة لله سبحانه وتعالى.

قال ﷺ: "ولكتابه" النَّصيحة للقرآن: حفظه من الخلل، ونقله للآخرين، قام بها من قبلنا فحفظوه حتى وصل إلينا على الصورة التي هو عليها؛ فبقيَ على ما هو عليه منذ نزل على محمد ﷺ إلى يومنا هذا؛ هذا من النصيحة.

شَرْحهُ وتفسيره وتعليمه للناس من النصيحة، العمل بما فيه من النَّصيحة، إخلاص العمل بما فيه وفهمهُ على وجهه الصحيح وعدم التلاعب به؛ كل هذا من النصيحة لكتاب الله

قال النبي ﷺ: "ولرسولهِ"؛ كيف تكون النصيحة لرسوله ﷺ؟

بأن تؤمنَ به، وتصدقه فيما يبلغ، وأن تطيعه في أوامره، وتجتنب نواهيه، أن تدافع عنه إذا أُسيء إليه، وتذّب عنه؛ كل هذا من النصيحة لرسول الله ﷺ.

قال: "ولأئمة المسلمين"؛ وهم الأمراء والولاة الذين يقومونَ بما يجب عليهم ناحية المسلمين؛ واجباتهم كثيرة سيسألهم الله سبحانه وتعالى عنها؛ يَلزمك أن تنصح لهم، أن تكون معيناً لهم على طاعة الله سبحانه وتعالى، أن تبين لهم الحق من الباطل إذا كان عندك بيان؛ تنصحهم

---

1 - أخرجه مسلم (55) عن تميم الداري رضي الله عنه، وعلقه البخاري في "صحيحه".

فيما بينك وبينهم ليس على الملأ كي لا تُهَيّج الناس عليهم؛ نصيحتك لهم تكون خاصَّة بالسّر؛ حتى لا يكون من ورائها مفاسد؛ تنصحهم بالسر وتبيّن لهم الحق وما يجب عليهم باللّطف واللّين؛ حتَّى تكون نصيحتك مسموعة منهم، تدعو لهم بالهداية والتوفيق وباتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فهدايتهم خير لأنفسهم وللنّاس جميعاً؛ هذا أيضاً من النَّصيحة لهم، لا تُهَيّج النَّاس عليهم؛ من النصيحة لهم أيضاً؛ كل هذا من النصيحة لولاة أمر المسلمين.

ولا تنزع يداً من طاعة، ولا تخرج عليهم، ولا تتبَّع أخطاءهم وتنشرها بين الناس حتَّى تُهيّج الناس عليهم؛ هذا من الغش وليس من النَّصيحة؛ هذه واجباتك فيجبُ عليك أن تلتزم بها.

عليهم واجبات أيضاً، إن حصلت عليها في الدّنيا؛ الحمد لله، إن لم تحصل عليها؛ فسل الله سبحانه وتعالى أن يعطيك إياها وأن يعوضك خيراً؛ كما أرشدنا النبي ﷺ: " فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ "[1]، وفي رواية قال :"أدّوا ما عليكم واسألوا الله ما لكم"[2]، الكلام واضح: ستجدونَ منكراً، ستجدون أمراء يؤثرون أنفسهم بالأموال والخيرات ويمنعونكم ذلك؛ كيف يكون التّصرف؟!

تؤدي الحق الذي أوجبه الله عليك، وتسأل الله ما لَك؛ هكذا تكون النّصيحة لأئمة المسلمين.

وأما النصيحة لعامَّة المسلمين: أن تُبيّن لهم الحق، وأن تُرشِدهم إليه، وأن تحذّرهم من الباطل، إذا وضعتَ نَفسَك في مقام أهل العلم؛ فقد وَجب عليك أن تُبيّن لهم الحق: من التَّوحيد، واتباع السنة، ومن الطَّاعات، وأن تُحذّرهم من كل ما يُنافي ذلك؛ من الشرك، ومن البدع والضّلالات، ومن المعاصي والذنوب، فإذا وضعتَ نفسك في مقام أهل العلم؛ وَجَبَ عليك البيان، وأن تُرشد النّاس إلى خير ما تعلَمُه لهم، وأن تُحذّرهم من شرِّ ما تعلمه عليْهم؛ فتكون مُبيّناً وموضّحاً للناس شرع الله ودينه؛ حتّى تبقى الأمور كلّها صافية، نقية، واضحة، وبعد ذلك: كلٌّ يَختار لنفسه؛ فأنت ليس عليك هداية الناس؛ إنما واجبُك أن تبلّغ: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾[3] فقط؛ فبلّغ وبيّن؛ لكن لا تغش الناس لا تخدعهم؛ تظهر لهم بصورة النّاصح

---

(1) أخرجه البخاري(3163)، ومسلم(1059) عن أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري(3603)، ومسلم(1843) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي الباب روايات أخرى عن أكثر من صحابي.

3 - [الشورى:48]

وحقيقةً أنت متّبعٌ لهواك؛ تجمع المال، أو تحبّ أن تُجمع وتُكتّل الناس من حولك، وأن تجعل نفسك شيخاً يُسمَع لك، أو أن تجمع الأموال باسم السُّنَّة، أو باسم الدّين؛ كل هذا إن فعلته؛ فهو من الغِش والخيانة والخداع للإسلام وللمسلمين؛ لا تكون ناصحاً؛ بل تكون غاشاً مُخادعاً، وإثمك عظيم عند الله سبحانه وتعالى؛ فإنك وضعتَ نفسك في مقام، وأظهرْتَ نفسك في صورة، وأنت كاذبٌ فيها، وأمنك الناس، وأمّنوك على أمر ووثِقُوا بك؛ وأنتَ تكون مُخادعاً وغاشاً؛ وخاصَّة إذا كان أمرُك في فتنة؛ تضع النّاس في فِتن؛ فتكون سبباً في سَفك دِماءهم، وذهاب أموالِهم، وهم يعملون من وراء فتوى منك! وأنت كاذب؛ إنّما تريد من وراء ذلك الجاه أو المال أو الرياسة .نعوذ بالله من الخِذلان .؛ هذا كلّه من الغِش والخداع ؛

النصيحة بخلاف هذا؛ النصيحة: أن تُبيّن لهم الحق؛ ما أراد الله منهم؛ هذا هو الحق؛ هذا الذي ينبغي عليك أن تفعله للنّاس؛ سواء وافق أهواءهم أو لمْ يُوافق؛ هذا ليس شُغلك؛ الواجب عليك أن تُبيّنَ للناس ما أمرهم الله به وما نهاهم عنه وما أرادَه منهم فقط؛ أحبّوا أم كرِهوا؛ أنت تكون أدَّيت ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليك، وتكون ناصحاً بحق؛ أعجبهُم أم لمْ يُعجبهم؛ هكذا تكون النّصيحة للمسلمين.

ومن النَّصيحة للمسلمين: أن تُبيّن لهم داعية الحقّ من داعية الضلال؛ حتّى يتّبعوا المُحق ويحذروا من الضَّال المُضل؛ هذا من أعظم النصح، فكلُّ ما يترتب على ذلك بعد ذلك؛ من مسائل توحيد وشِرك ومعاص وبدع وسنن؛ هل سيأخذونها من هذا أو من هذا؛ هذا أساس النّصيحة، أساس النصيحة وأوْلاها: أن تُبيّن لهم داعية الحقّ من داعية الضَّلال؛ حتّى يُميّزوا، ثمّ بعد ذلك: تكون قد أدّيْت ما عليك.

قال .رحمه الله .:([77] واللهُ سُبْحانَهُ وتعالى سَميعٌ بَصيرٌعَليمٌ، يَداهُ مَبْسُوطَتانِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الخَلْقَ يَعْصَونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فيهم أَنْ هَداهُمْ للإِسْلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَماً وَجُوداً وتَفَضُّلاً؛ فَلَهُ الحَمْدُ)

يؤمنُ أهل السُّنَّة بكل ما جاء في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصّفات، وهذه ثلاثة أسماء ذكرها المؤلّف؛

قال: (والله سبحانه وتعالى سميعَ بصيرٌعليم)؛

كلّها تدلّ على عِلم الله تبارك وتعالى، وعلى إحاطته بالأمور: سميعٌ : نسمّيه سميعاً لأنه سمّى نفسه بذلك، نسميه بصيراً لأنه سمّى نفسه بذلك، نسمّيه عليماً كذلك، وكلّ اسم يتضمَّن صفة، يعني كل اسم يدل على صفة؛

- فالسميع: اسمٌ يدل على صفة السمع،
- والبصير: اسمٌ يدل على صفة البصر،
- والعليم: اسمٌ يدل على صفة العلم،

وهكذا جميع أسماء الله التي وردت في الكتاب والسُّنَّة؛ كل اسم معه صفة، ولكنّ الصفات أوسع من الأسماء؛ أكثر؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأشياء كثيرة، وكل اسم معه صفة؛ إذاً فالصّفات أكثر من الأسماء.

وكما ذكرنا: عقيدتنا في الأسماء والصفات: كلُّ اسمٍ سمّى الله به نفسه في الكتاب أو في السنة نُسميه به، وكل صفة وصف الله بها نفسه؛ نصِفه بها، وغير ذلك نسكت عنه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى سكت عنه، فما سكت عنه نسكت عنه، وما قالهُ نقولهُ؛ هذه عقيدتنا في الأسماء والصفات.

قال: (يداهُ مبسوطتان)،

الله سبحانه وتعالى يوصف بصفة اليديْن؛ فيُقال: لَه يدان حقيقيتان تَلِيقَان بجلاله وعظمته، وليستا كأيدي المخلوقين؛ لذلك نُثبت لله سبحانه وتعالى الصفة من غير تكييفٍ ولا تمثيل؛ فلا يُقال كيف يده ؟!

نقول: الله أعلم؛ الكيف هذا نُفوّض أمره إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنه أخبرنا أن لهُ يداً ولم يُخبرنا كيف؛ هذا دينُنا، هذه عقيدتنا؛ وُقوفٌ مع الكتاب والسنة، أمور غيبية لا تُدرك بالعقل، لمْ نرها، ولا نعرف لها مُشابهاً؛ فكيف نُدرِكها؟! لا يُمكن إدراكُها إلا بالخبر، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأن له يديْن، ولم يُخبرنا عن كيفيتِها؛ فنؤمن بأن لَه يديْن ونسكتُ عن الكيفية.

من غير تكييفٍ ولا تمثيل؛ فلا نقول لله يديْنِ مثل أيدينا، أو مثل يد فلان؛ لا

التمثيل منفي؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1]، أثبت لنفسه الاسم، وأثبت لنفسه الصّفة؛ وقال: ﴿ليس كمثله شيء﴾؛ إذاً نُثبِت بأنّ له اسماً وله صفةً ليست مُماثلةً لصفات المخلوقين؛ فقط.

ولا تحريفٍ ولا تعطيل: لانُحرّف الأسماء؛ فلا نقول معنى اليديْن هنا النعمة، كما تقوله بعض الفرق الضالة؛ لأن هذا تحريف.

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ يدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[2] جاءت بالتثنيَة، وجاءت أيضاً في آية أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تُسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيْ﴾؛ ومع التثنية؛ لا يصحّ تفسيرها بالقوة ولا النعمة؛ فلا يقال: بل قوتاه، أو بل نعمتاه؛ فنعمه كثيرة لا تُحصى، وقوته عامة.

وفي قوله عز وجل: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[3]؛ كَرَّم الله آدم وخلقه بيديْه؛ فلا وجه لتحريف هذه الآية أبداً؛ لا بالقوّة، ولا بالإرادة، ولا بغير ذلك؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى خلق جميع خلقه بقدرته وقوته وبإرادته؛ فإذا قلت بأن القدرة والإرادة هي المقصودة في هذه الآية؛ نقول لك: وما ميزة آدم؟! وأين الفضل الذي تفضَّلَ به الله على آدم بأن ميّزه وفضله على بقية الخلق!

أي: كأنّ الله سبحانه وتعالى يقول لإبليس ما منعك أن تسجد لمن شرّفتُه بأن خلقتُه بيدي على بقية خلقي؟ شرَّفهُ عليه، وفضله عليه وعلى بقية مخلوقاته بأن خلقه بيديْه، فعندما تقول بإرادته أو بقوّته؛ معنى ذلك أنك قد نفيْت ميزة آدم على بقيّة خلقِه؛ وهذا باطل؛ فلا نُحَرِّف الصفة ولا نعطّلها، فإذا كانت الصفة تدل على معنى؛ نُثبت المعنى ولا نُعطّلَه عن معناه كما يفعل البعض يقول: نثبت لله يدين ولا نعرف معناها؛ هذا تعطيل للصفة! هذا باطل! بل نعرف معنى اليدين على مُقتضى اللغة العربية؛ ولكن نُؤمنُ بأنَّها صفة تليق بجلال الله وعظمته؛ هذه عقيدة أهل السنّة في جميع صفات الله تبارك وتعالى.

---

1 - [الشورى:11]

2 - [المائدة:64]

3 - [ص:75]

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أثبَت لِنفسه اليديْن؛ فنُثبِتُ له اليدين.

قال: (**قد علِم أن الخلق يعصُونه قبل أن يخلقهم**)

الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء؛ لا يفوته علم شيء، وعلِم ما الخلقُ فاعلون قبل أن يُوجدوا؛ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، فإذا كانت الملائكة قدْ علِمت أنّ الخلق الذين سيخلُقهم الله سيفعلون هذا؛ فعِلْم الله من باب أولى، قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾[1]؛ أعلم أنه سيكون في الأرض من يُفسد فيها، ومن يسفك الدماء، وأعلم أنه سيكون فيها شهداء، وسيكون فيها أهل طاعة، وسيكون فيها أنبياء، وسيكون فيها صالحون أيضاً؛ فَعَلِمَ الله سبحانه وتعالى أنَّ الخلق سيعصونه؛ قبل أن يخلقهم حاصِلٌ هذا العلِم.

(**عِلمهُ نافذٌ فيهم**)

أي أنه يعلم منهم كلّ شيء.

قال: (**فلم يمنعهُ علمه فيهم أن هداهم للإسلام**)

أي: مع علمه بهذا الذي سيحصل؛ مع ذلك هداهم ووفقهم للإسلام- الذين وفقهم إلى ذلك؛ يعني المسلمين-؛ هذا إذا قلنا الهداية هنا هي هداية توفيق؛ لأن الهداية هدايتان:

- هداية توفيق،
- وهداية إرشاد. بيان للطريق، وتوضيح-؛

الأولى: منفيةٌ عن النَّبي ﷺ ، والثانية : مُثبتة له.

الأولى خاصة بالله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾[2]؛ فالهداية بيد الله سبحانه وتعالى؛ يهدي من يشاء من خلقه، يُوفّقهم- بمعنى التّوفيق-؛ فنفى عن نبيِه ﷺ هذه الهداية وأثبتها لنفسه، وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ

---

1 - [البقرة:30]

2 - [القصص:56]

مُسْتَقِيمٍ﴾[1]؛ فأثبتَ لَلنبي ﷺ الهداية؛ لكن الهداية المُثبتة هنا هي هداية الإرشاد؛ يعني: تُبيّن للنَّاس طريق الحق؛ فهما هدايتان تُذْكَران في الكتاب والسنّة.

إن قلنا هنا الهداية هي هداية التوفيق؛ فنقول: هداهم للإسلام، يعني: وفَّق من أراد أن يُوفّقه للإسلام من المسلمين.

وإن قلنا: هداية إرشاد؛ فيكون المراد: بيّن لهُم الدّين الحق وأوضحَه.

قال: (ومنَّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضُّلاً؛ فلَه الحمد) وهذا ممّا يجعل القول الأقوى: أن معنى الهداية هنا: أنّه وفّق من وفّق من المسلمين للإسلام، ومَنَّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضلاً سبحانه وتعالى.

قال المؤلف- رحمه الله-:([78] **واعْلَمْ أَنَّ البِشارَةَ عِنْدَ المَوْتِ ثَلاثُ بِشاراتٍ؛ يقال: أبْشِرْيا حبيب الله برِضا الله والجنة، ويقال: أبشريا عبد الله بالجنّة بعد الانتقامِ**[2]**، ويقال : أبشر يا عدوَّ الله بغَضَبِ الله والنّار؛ هذا قول ابن عباس - رضي الله عنه**).

يعني هذه البِشارات على حسَب المقامات؛ على حسب نوع النّاس؛ منهم كافر، ومنهم مؤمنٌ طائع، ومنهم مؤمن عاصٍ؛ هذه ثلاث حالات للناس.

- البِشارة الأولى: (**قال أبشريا حبيب الله برضا الله والجنة**) هذه للمؤمن للطائع.
- البشارة الثانية: (**ويقال: أبشريا عبد الله بالجنّة بعد الانتقام**) هذه للمؤمن العاصي الذي أراد الله أن يُعذّبه.
- البشارة الثالثة: (**ويقال: أبشريا عدوَّ الله بغضب الله والنّار**) هذه للكافر؛ فهي ثلاث؛ لِثلاثة أنواع من النّاس؛

فالإنسان عند الموت يُبشّر إمّا بالخير، أو بالشر كما قال النّبي ﷺ وسلم: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ

---

1 - [الشورى:52]

2 - هما نسختان للكتاب؛ نسخة: "الإسلام" ونسخة: "الانتقام"؛ ولعل: "للانتقام" أصوب.

مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَه"[1].

وفي قبره أيضاً يأتيهِ المَلكان، ثمّ بعد ذلك إمّا يُبشّرانه بالجنَّة أو بالنّار على حسب الإجابة.

قال المؤلف.رحمه الله.: ([79] واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُإلى الله تعالى في الجَنَّةِ: الأضِرّاءُ، ثمّ الرّجالُ، ثمّ النّساءُ؛ بأعيُن رؤوسهم كما قال رسول الله ﷺ:"إنّكم سَتَرَوْن ربكم كما تَرَوْن القمر ليلة البدر لا تُضامّون في رؤيته"[2]، والإيمان بهذا واجبٌ، وإنكارُهُ كُفْرٌ).

إنكار رؤية الله يوم القيامة كفرٌ؛ لأنّه تكذيبٌ لكتاب الله، وتكذيبٌ لسنّة رسول الله ﷺ وأدلتها كثيرة واضحة صريحة، ولا يردُّها ويُنكرها إلّا كافر؛ هذا معنى ما ذكر المؤلّف.

ومسألة رؤية الله والتّفصيل فيها فقد تقدّم معنا.

وأما مسألة التفصيل التي ذكرها المؤلف هنا عند قوله:

(أوّل من ينظرُإلى الله تبارك وتعالى في الجنّة الأضِرّاء، ثم الرجال، ثم النساء):

فهذا لا نعرف عليه دليلاً، كذلك الشُرّاح الذين وقفتُ على كلامهم؛ لم يذكر أحد منهم دليلاً على هذا الكلام؛ بل صرّح الشيخ أحمد النّجمي رحمه الله وقال: "لا أعرفُ دليلاً على هذا الكلام".

وقوله في النهاية :(والإيمان بهذا واجب والإنكار كفر):

وهذا عائد على أصل رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

قال المؤلف.رحمه الله تعالى.:([80] واعْلَمْ أنّها لمْ تَكنْ زَنْدَقَةٌ، ولا كُفْرٌ، ولا شُكوكٌ، ولا بِدْعَةٌ، ولا ضَلالَةٌ، ولا حِيرَةٌ في الدِّينِ؛ إلّا مِنَ الكَلامِ وأَهْلِ الكَلامِ، والجَدَلِ، والمِراءِ، والخُصومَةِ، والعُجْبِ؛ وكيف يجترئ الرَّجُلُ على المِراء والخُصُومَةِ والجِدالَ والله تعالى يقول: {ما يَجَادِلُ في آيات الله إلا الذي كفروا}[3]؛ فعليك بالتسليمِ والرِّضى بالآثارِ والكَفِّ والسُّكوتِ)

1 - أخرجه البخاري (6507)، ومسلم (2683) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

2 - أخرجه البخاري (554)، ومسلم(633) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

3 - [غافر:4]

هذا أصلٌ عظيم عند أهل السُّنَّة والجماعة، وقد تقدّم القول فيه؛ لأن الأصل عندهم أن تسمع الأخبار، وأن تؤمن، وأن تسلِّم، ولا تجادل، ولا تُورد الأسئلة والشبهات على ما جاءكَ من أخبار؛ بل تُصدّق وتسلّم وتسكت، ولا تُجادل وتُخاصم وتماري فيما جاءك من أخبار؛ فالشبهات تنقدح في القلوب بسبب المُجادلة بالباطل، وسماع أهل الباطل؛ لذلك حرص السلف كثيراً على عدم مجالسة أهل البدع وعدم السّماع لهم؛ لماذا؟

لأن الأمرَ يرجع إلى فساد دينِك؛ فالنَّبي ﷺ يقول: "المرء على دين خليلِهِ، فلينظر أحدكم من يُخالِل"[1]، لماذا المرء على دين خليله ؟

لأنّه إذا جالسَه؛ خالطه وكلّمه وذكر له من الشبُهات- إذا كانت عنده- ما ذكر؛ تعلق في قلبه ويتشرّبها؛ فالمرء يكون على دين خليله؛ يتأثّر به ولا بدّ، هذا أمر مُشاهد معلوم؛ المرء يتأثر بصديقه، بصاحبه الذي يُماشيه؛ فلذلك حُذِّر من هذا، وجاء في الحديث أيضاً أنّ النّبي ﷺ قال: " مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ"[2]، فأمر الشبهات خطير، والمُجالِس لأهل البِدع خطير على نفسه وعلى النّاس أيضاً؛ لذلك قال من قال من السلف: "من يُجالسُ أهل البدع أشدُّ علينا من أهل البدع"[3]؛ لأنه عندما يُجالس أهل البدع سيحمل أفكارهم ويبدأ ببثّها بين أهل السُّنَّة، وإذا رآه النّاس جالساً عند أهل البدع؛ اغتروا به وتبِعوه على مجالسته؛ فيُولّد ذلك فساداً عريضاً، وما انتشرت الشبهات والبدع في هذا الزمن بهذا الشكل الذي نراه اليوم؛ إلّا بتهاون الناس في هذا الجانب؛ حتّى إنك تكاد تجد هذا الأصل ميّتاً؛ حتى عند من يدعي السنة في هذه البلاد بالذات؛ لا يعرفون التفريق بين سنّي وبِدعي؛ يجالسون كل أحد! يخالطون كل أحد؛ لذلك تكاد تجد اثنتين وسبعين فرقة في واحد! في زماننا هذا تُجالس بعض الناس تجد في رأسه اثنتين وسبعين فرقة؛ عقائد مُخلّطة، مناهجٌ من أفسد ما يكون؛ ويقول لك أنا سلفي؛ سلفية ماذا هذه؟!

---

1 - أخرجه أحمد(8028)، والترمذي(2378)، وأبو داود(4833) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعض ألفاظ الروايات: "من يخالط".

2 - أخرجه أحمد(19875)، وأبو داود(4319) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

3 - أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (486) عن ابن عون.

هذا الذي نعيشه اليوم كله بسبب التفريط في هذا الأصل: عدم مُجالسة أهل البدع؛ عدم مخالطتهم، عدم الكلام معهم في مسائل الدّين؛ فأنت لا تأمن على نفسك؛ القلوب ضعيفة، والشبّه خَطَّافة.

أئمة كانوا في زمانهم يُرجع إليهم في مسائل العلم والدْين، عندما يأتيهِم مبتدعٌ يطردُونه أو يقومون من المجلس ويقولون: القلوب ضعيفة والشُبه خَطَّافة، واليوم بعض الشباب تجده يذهب إلى مواقع أهل البدع، أو مواقع المبتدعة ورؤوس الضلال، يفتح عليها ويدخلها ويقرأ! ثم يأتيك بكل أريحيَة ويقول لك: يا شيخ! فلان قال كذا وكذا!

من أين جئت بهذا؟! قال: من موقع فلان- المبتدع-!!!

كيف تُبيح لنفسك أن تدخل موقعه؟! كيف وقفت على هذه الشبهة أنت أصلاً، ولماذا جعلتها تطرق قلبك؟

انظر كيف تلَّبس عليك الأمر وحملتها وجئت بها مباشرة تركض؛ هذه هي النتيجة، لولا أنّها وقعت في قلبك وما استطعت أن تردّها؛ ما أتيْت بها.

فالحذر بارَكَ الله فيكم في هذا الباب.

وقد قدّمنا الكلام في مسألة المجادلة والمُخاصمة والمِراء فيما تقدَّم وتحدَّثنا عنها.

قال: (**وما جاءت الحيرة والبدع والشكوك إلّا من الكلام وأهل الكلام**)

أهل الكلام هؤلاء أفسدوا دين الله، من بعد القرون الثلاثة الأولى التي أثنى عليها نبيُّنا ﷺ؛ بدأت تظهر قرون هؤلاء المتكلّمين، ثم نشروا بِدعَهم وضلالاتهم وانتشرت بين النّاس، وصارت بدعُهم تكاد تكون هي الدِّين؛ لولا أن الله سبحانه وتعالى قد تكفّل بحِفظ هذا الدّين، وصار مَنْ يتكلم في دين الله ويُثنى عليه ويُرفع: هو من رؤوس المتكلِّمين! يُسمّى بالألقاب العريضة؛ حتى نحن كنّا نغتر به في بداية الطلب ببعضهم؛ تسمع: (سلطان العلماء)؛ لقب عظيم! ترجع إليهِ؛ تجدهُ على أفسد ما يكون من عقائدهم؛ عقائد أهل البدع والضلال، من أين جاء هذا؟

من التلبيس؛ حتَّى بعض من تُحسِن به الظن؛ فيُبجّل ويُعظم أمثال هؤلاء، فأنت تقول: إذا كان مثل هذا الذي نأخذ عنه العلم يُعظّم هؤلاء؛ فما المعنى بعد ذلك؟ إذن هم عظماء!

وهذا نفسه الذي حصل مع الدارقطني والهَروِي؛ عندما التقى الدّارقُطني بالباقِلّاني، وكان معه

أبو ذرٍّ الهَروِي، عظم الدّارقطني الباقلّاني وقبّل رأسه، فلمّا رأى الهروِي هذا المنظر وهو يُعظّم الدّارقُطني، قال: إذن ما يفعل الدّارقطني معه هذا الشيء إلّا لأن الرّجل عظيم؛ فأخذ عنه الأشعرية.

هذا هو تعظيم أهل البدع والضلال وما يُوصل إليه؛ فلا تستهينوا بارك الله فيكم بهذا الأصل الذي كان عليه السلف الصّالح رضي الله عنهم، كانوا يُشدّدون فيه، ولا يتهاونون؛ تجالس المبتدع؛ إذن تُلحَق به، تُنصَح، فإن نُصِحت فالحمد لله، ما نصحت؛ تلحق به؛ فأنت ضرر على الشباب الذين هم من حولك، لا يصلح أن تجلس معنا؛ اذهب عند المبتدع وخُذ منه كلامه كما تشاء؛ لكن لا تُلبِّس على النَّاس، ولا تخدع النّاس بنفسك.

قال المؤلّف رحمه الله: (**[81] والإيمانُ بأنّ الله يُعَذِّبُ الخَلْقَ في النّارِ؛ في الأَغْلالِ والأَنْكالِ والسَّلاسِلِ؛ والنَّارُ في أَجْوافِهِمْ، وفَوْقَهُمْ، وتحتهم؛ وذلك أن الجهمية منهم هشام الفُوَطي قال :إنّما يُعذّب الله عند النار؛ رداً على الله ورسوله ﷺ**)

لماذا ذكر المؤلف هذا وهو من الأمور المُسلَّمات؟

وأحاديث الشفاعة طافحة بمثل هذه الأخبار: أن الناس يُعذَّبون في نار جهنّم، ومنهم من هو في الدَّرك الأسفل من النّار؛ كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن المنافقين، وذكر في حديث الشفاعة الصراط والأغلال والسّلاسل والكلاليب؛ كل هذا مذكور في أحاديث مشهورة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ"[1]؛ فكيف البقية الآخرون؟

وعن العباس بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: "هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"[2].

1 - أخرجه البخاري(3885)، ومسلم(210).

2 - أخرجه البخاري(3883)، ومسلم(209)

والنّار دركات بعضها أشدُّ من بعض على حسبِ نوع الكفر، وعلى حسب الذنوب؛ هذه أخبارها كثيرة في سنّة النّبي ﷺ؛ ثمّ يأتي هذا المتفلسف ويتفلسف ويقول: يُعذِّب الله عند النار لا بها؛ فلا يدخلون النّار؛ إنّما يكونون قريبين منها!

هذا باطل من باطل المعتزلة والجهمية؛ هذه الفرق أفسدت دين الله سبحانه وتعالى؛ يتكلمون في الدين بعقولهم وبما يحلوا لهم، لا ينظرون إلى أدلة الكتاب والسنة، ولا يرفعون بها رأساً.

أصل الإيمان: الإيمان بالأمور الغيبية؛ إذا جاءك الخبر عن الله وعن رسول الله ﷺ؛ لا تُعمل عقلك وتبقى تُقلّب في الخبر يميناً وشِمالاً حتّى تُزيحَه عن معناه الذي أراده الله، وأراده رسوله ﷺ.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله.